الخطاب السلطوي في نماذج من القرآن الكريم

عبير الجادري (الكاتب المسؤول)
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها - فرديس الفارابي جامعة طهران
abir.gaderi1354@ut.ac.ir
علي رضا محمد رضايي
أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها - فرديس الفارابي جامعة طهران
amredhaei@ut.ac.ir

The power of discourse in the verses of the Holy Qur'an

Abir gaderi
PHD in Arabic language & literature University of Tehran – college of Farabi
AliRedha MohammadRedhaei
Associate professor in Arabic language & literature University of Tehran – college of Farabi

الملخّص :

يستدعي مقام التلفظ للخطاب افتراض متكلم أو مستمع هدفه الأول التأثير في الثاني ما يجعله في هذه الحالة شكلا من اشكال الأيدئولوجيا يمده بفرض السلطة والهيمنة كما يعتقده فوكو. فالخطاب هو عبارة عن دالة السلطة وممارسة أيديولوجية والقدرة الفائقة على صوغ القوانين وتأطير المتكلمين في إطار من شبكة الأوامر والنواهي والعاد والقيم. فقد أراد البحث عبر المنهج الوصفي أن يتناول الخطاب السلطوي في بعض من آيات القرآن الكريم وقد بيّن فيها مدى علاقة صياغة الخطاب بالأيدئولوجيا ومدى أثر الظواهر الاجتماعية والثقافية والسلطوية والسياسية في تكوين وبلورة الخطاب خاصة في خطابات فرعون النقدية السلطوية كما توصل البحث بأن مقام التلفظ هو الذي منح الخطاب التأثير والسلطة وجعل لفرعون التفوه بمنطق الألوهية واعتبار الأنا، مطلق السلطة ما أحال مقام التلفظ أو أفقه إلى ساحة مواجهة مع كل من شأنه أن يستلب حرية الأنا أو يلغيها أو يهمش دورها ولم يتوقف الأمر عند هذا بل صنعت السلطة خطابها عند فرعون ومن ثم أيدئولوجيتها وهذا ما يخول الأنا (فرعون) بأن يصنع خطابه وأيدئولوجيته إزاء الخطابات الأخرى حيث اعتبر نفسه الرب الأعلى وبما أن لاتوجد سلطة بدون أيدئولوجيا أخرى معارضة تمثلت الأخيرة في خطابات موسى والسحرة (المؤمنين) تعبيرا عن إرادة قوة ما في مقابل إرادة قوة أخرى ولاننسى أن هذا بسبب التغيير في معنى الكلمات حسب الاختلاف في الأيدلوجيات والمواقف كما أن المقصود من الرب والدين والفساد هو غيره عند موسى وفرعون.

الكلمات المفتاحية : القرآن الكريم – الخطاب – الخطاب النقدي – الخطاب السلطوي – السلطة .

Abstract:

Anyone who influences the image of discourse requires that he have a speaker and an explorer whose primary purpose is the impact of one on another, that is, according to Foucault, the discourse has the ideological form of power and authority, in other words, the discourse of the power index, which can be Establishing laws and discussing issues in the context of the past and the past, and the beliefs and beliefs. The discussion is about how to study power discourse in several quarters of Karim. One of the most important achievements of the paper is to explain the relation of discourse with ideology and social and cultural structures. How are you? The formation of a power discourse in the person of Pharaoh. Among other research achievements, the influence of the dimension of the influence of discourse on the formulation of the power discourse in Pharaoh and the claim of divinity, and the removal of everything that threatens the absolute "I", throws the power of discourse on the foundation of ideology. In the shadow of Saran, there is a meaningful change, as the meaning of pasture, religion, and religion are different in the discourses of Moses and Pharaoh .

Key words : Holy Qur'an - discourse - critical discourse - authoritarian discourse – power .

المقدمة

حتى نتعرّف على الخطاب القرآني كقيمة سلطوية معرفية عليا ومن ثمّ معرفة مظاهر الرؤية المكتنزة فيه لابدّ أن نبدأ البحث في مفهوم الخطاب في المنظور اللغوي والاصطلاحي.جاءت المادة (الخطاب) لغة على وزن فعال من خاطب ومصدره خطاب ومخاطبة على وزن مفاعلة ومعناه الكلام والمحادثة ومراجعة الكلام والمشاورة وتوجيه الكلام لمن يفهم. فقد ورد في معجم ابن فارس مفهوم الخطاب بمعنى:‹‹مراجعة الكلام وتبادله بين اثنين أو أكثر ويقال:خاطبه يخاطبه خطابا:﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾الفرقان/ ٦٣. ومنه الخُطبة والخطبة بكسر الخاء والخُطبة تختص بالموعظة وهو كلام منثور يخاطب به متكلم فصيح جمعا من الناس لإقناعهم (فقال اكفلينها وعزني في الخطاب) وفصل الخطاب: ما ينفصل به من الأمر من الخطاب أي الحكم بالبينة أو باليمين أو الفقه في القضاء ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾. إذن، اتضح لدينا أن الخطاب بمعناه اللغوي هو المحادثة ومراجعة الكلام وكذلك بمعنى التواصل بين الذات والآخر محادثة وكذلك الفصل والبينة.

يفيد التعريف اللغوي في التراث الإسلامي بأن المراد من الخطاب هو إما أن يكون الكلام نفسه المتكوّن من اللفظ(حروف،كلمة،جملة،عبارة) على تقسيم سيبويه للكلام. أي:‹‹ الإسم والفعل والأداة[1].›› أو أن يكون بمعنى المواجهة بالكلام ونظام صياغة الكلام (الأسلوب) المؤثر في الآخرين وتنظيمه والتوجه إليهم بطريقة معينة تجعله قادرا على التأثير فيهم (كالخطابة). وإمّا أن يكون بمعنى نظام القول أو الفعل العقلي والقائم على الحجة والدليل كما نستنبطه من فصل الخطاب. لكن مفهوم الخطاب في الدرس اللساني الحديث يثير جدلا واسعا بين الباحثين لصعوبة مقاربته اصطلاحيا والسبب هو اختلاف بيئاتهم ووجهات نظرهم ومناهج تفكيرهم الأمر الذي تسبب في تعددية مفاهيمه وتعاريفه.

تعود جذور أول محاولة جادة لضبط مفهوم الخطاب في الموروث الغربي إلى أفلاطون ثم ديكارت ولعل من أبرز الممثلين الذين شغلت قضية الخطاب أو بتعبير آخر مصطلح الخطاب مساحة كبيرة من فكرهم، قطبان من أقطاب الفكر الفلسفي والأدبي واللغوي الغربي هما ميشال فوكو(Michel Foucault) وميخائيل باختين (Bakhtin).

«فالأول يرى بأن يطلق مصطلح الخطاب على مجموعة الملفوظات التي تنتمي إلى تشكيلة خطابية واحدة إذ اتخذ الخطاب عنده أبعادا ابستمولوجية / معرفية مستقلة ارتبطت بوصفه مفهوما وثيق الصلة بالإنسان وبمؤسساته داخل المجتمع فيكون بذلك مستقلا بذاته ونتاجا لتشابك مجموعة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية وأمّا باختين فيفسّر الخطاب تفسيرا اجتماعيا حيث يعتبره شاملا لعدة خطابات لشدة ارتباطه بالمجتمع عامة.[٢]» فبإمكان القارىء أن يستوحي مفهوم نظام القول من الإتجاه الفوكوئي للخطاب ونظام الحواري من الأتجاه الباختيني . لذلك ركز البحث على هذين البعدين من مفهوم الخطاب في معالجته للخطاب القرآني باعتبار الأخير ضمن الأول وفي صميمه. هذا لايعني أن المصطلح العربي للخطاب أهمل هذين الجانبين فإنه قد سبق تلك النظريات والبحوث أبكر بكثير خاصة عند الأصوليين حيث كان الخطاب محور بحوثهم«فقد عرّفوه باللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء للفهم.[١]» أي التركيز على البعد التحاوري والتواصلي والتأثيري للخطاب. وأما بالنسبة إلى نظام القول والسلطة المستوحاة من مصطلح الخطاب فهذا يظهر عندالجويني في تعريفه للخطاب بأن الخطاب ما فهم منه الأمر والنهي والخبر وفي رأيه أن من فهم منه أحد هذه فقد فهم الكل فإن كل أمر نهي وخبر وكل نهي أمر وكل خبر أمر ونهي.[٣]» ولا يخفى على أحد أن للأمر والنهي نوعا من السلطة والهيمنة وبتعبير أدق، فيه نوع من الإلزام والتكليف ما يسمى عندهم بخطاب التكليف والتشريع. يمكن خلاصة البحث في مفهوم الخطاب القرآني بأنه«نظام القول المؤثر في الآخرين والإقناع وعبارة عن نظام السلوك التواصلي بوصفه نظاما للتفاعل والفعل المتبادل(الحوار) بين أطراف العملية التواصلية أو

بوصفه نظاما للتسلط والفعل من طرف واحد(الخطاب الاستعلائي) أو بوصفه نظاما للتبعية والخضوع.[٤]››

أهداف البحث:

تبيين مقام التلفظ للخطاب.

تجاوز مقام التلفظ إلي الحوار ثم إلي الأيديولوجيا.

تبيين أثر حيثيات الخطاب وعلاقة الخطاب النقدي بالسلطة.

أسئلة البحث

ما المقصود بمقام التلفظ للخطاب وكيف نستنتج الحوار والسلطة منه؟ وما علاقتهما بالأيدئولوجيا ؟ ثم ما علاقة الخطاب النقدي بالسلطة؟ وما تجليات الأخيرة في الخطاب؟

فرضيات البحث:

يبدو أن مقام التلفظ للخطاب ما يعني وجود طرفي التواصل المتكلم والمستمع.

يبدو أن هناك كلام يتبادله المتكلم والمستمع(الحوار)بقصد التأثير وفرض الكلام على الآخر(السلطة).

يبدو أن للخطاب سلطة إنجازية تمتلك قوة التأثير على من حوله في المجتمع هذه السلطة وأنه قبل كل شيء حدث لساني اجتماعي يصنع المعرفة والهوية والعلاقات الاجتماعية خاصة مناسبات السلطة ويغيرها وأن هناك علاقة جدلية بين اللغة والسلطة والأيدئولوجيا.

خلفية البحث:

هناك كتب تعالج موضوع الخطاب والسلطة:

كتاب الخطاب والسلطة لفان دايك ترجمة غيداء العلي، القاهرة، المركز الثقافي للترجمة ط١، ٢٠١٤م.وقد تطرق فيه إلى مقومات تحليل الخطاب النقدي ومفاهيم الهيمنة والخطاب السياسي وسلطة الإعلام على الخطاب وبعض النمادج والتطبيقات على الخطابات السياسية ما يستشف منه الطابع السياسي

على الخطاب فحسب. ثم هناك رسالة جامعية تحت عنوان الخطاب السلطوي دراسة تداولية للخطاب السياسي خطاب بوتفليقة أنموذجا لنيل إعداد الطالب زقاع فتيحة إشراف الدكتور خيار نورالدين ٢٠١٥-٢٠١٦م. فإنه تطرق في الفصل الأول من الرسالة إلى المقاهيم النظرية للخطاب والتعريف به عند العرب ثم الغربيين ثم التطرق إلى مفهوم التداولية والسلطة والسياسة وتطبيقها على خطابات بوتفليقة مع التركيز على البعد التداولي للخطاب. هذا جلّ ما عثر عليه من بحوث تمت المقالة بصلة إذ لم نعثر على بحث يدرس الخطاب السلطوي في القرآن الكريم. إذن يبقى للبحث جدته وحداثته حيث التدرج من مقام التلفظ للخطاب ثم الحوار ثم السلطة والأيدئولوجيا.

١-مقام التلفظ للخطاب

إن تجاوز مفهوم الخطاب من الجملة _متتالية من الملفوظ إلى مفهوم التلفظ والتلفظ يعني هو:‹‹الفعل الذاتي في استخدام اللغة بوصفه فعلاحيويا في إنتاج نصا ما.[٥]››يسوغ لنا الإلمام بمفهومي الحوار والتأثير للخطاب. بتعبير آخر إن الخطاب في مقام التلفظ يهدف إلى ‹‹ وصف العلاقات التي تنتج فيما بينها الملفوظ ومختلف العناصر المكونة لإطار التلفظ٢.›› لأن ‹‹كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا هدف الأول التأثير على الثاني.[٦]››

وهذا يعني أن هناك كلاما يتبادله المتكلم والمستمع (الحوار) بقصد التأثير وفرض الكلام على الآخر. إذن الخطاب في هذا التعريف يعني حدث لساني و‹‹الحدث اللساني في ذاته ذو طبيعة تسلطية ونفاذ تحكمي لذلك لايمكن الانفلات من هيمنة الخطاب.[٧]›› إن هذا ليحدث بفضل مقام التلفظ للخطاب أيضا:‹‹ إن مقام التلفظ رغم الانفتاح والاتصال يقتضي التعبير عن موضع الشعور بالموقف الأصلي تجاه الذات واختيار عالم الحرية وكذلك بيان أفق التوتر والصراع بين الذات المتلفظة والأطراف العاملة أو الفاعلة.[٨]›› وهذا يعني تجاوز مقام التلفظ والمحاورة إلى استيلاد أفكار وآراء هي ثمرة تفاعل

التحاوري أو صراعهم ف ‹‹الكلمات تحمل دائما معنى أيدئولوجيا.[9]›› و:‹‹تتضمن موقفا جاهزا من العالم.[10] ›› فالخطاب ‹‹ هو شكل من أشكال الأيدئولوجيا [11].›› كما يراه فوكو.(Foucault)

إن نظام الخطاب في هده الحالة لايخلو من مسحته الإقناعية والتأثيرية المعبّرة عن تلك الفكرة والموقف حتى في مقام التسلط والخطاب من طرف واحد وكذلك إمكانية اشتباك مباشر ومواجهة مفتوحة مع الآخرين فالخطاب ‹‹لاينهض مستقلا عن أي خطاب آخر بل ينشأ الخطاب ليكون في مواجهة مع خطاب آخر.[12]››

تبين أن الحوار له بنية فكرية وإنه يتمتع بتعددية الاصوات والآراء عند كل من أطراف العملية التواصلية وله قصد التأثير على المخاطب وبما أن التأثير لايخلو من سلطة وقوة يرى رائد نظرية السلطة في الخطاب بأن الخطاب هو:‹‹شكل من أشكال الهيمنة وممارسة أيديولوجية.[13]›› وإنه: ‹‹عبارة عن دالّة السلطة وعبارة عن عرض لشبكة علاقات القوى الخاصة بتشكيلة خطابية معينة وتوزيع سلط التأثير والتأثر.[14] ››

بناء على ما جاء في البحث إن الخطاب يجسد في ذاته سلطة إنجازية تمتلك قوة التأثير على من حوله في المجتمع من بشر ومؤسسات وإن هذه السلطة المتجسدة في الخطاب هي قبل كل شيء حدث لساني:‹‹ إن الخطاب هو كيان خاص متماسك بنفسه ومترابط وصحيح ومفهوم ينتج بطريقة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز الكيفية التي ينتج بها الكلام كخطاب.[15]››

٢-الخطاب النقدي

يسعف الخطاب النقدي القارىء بأن يدرك أن أقوال الناس هي محصلة الفكر والأيدئولوجيا الفردية والسياسية والاجتماعية والثقافية. في الحقيقة، إن الخطاب النقدي يحاول أن يكشف الستار عن العلاقة بين اللغة والسلطة الحاكمة والمؤسسات الاجتماعية والثقافية والأيدئولوجيا والسلطة الدينية فقد جاء في

تعريفه أنه:‹‹حدث لساني اجتماعي يصنع المعرفة والهوية والعلاقات الاجتماعية خاصة مناسبات السلطة ويغيرها وفي علاقة جدلية مع باقي النظم الاجتماعية فهو صانع الأحداث والظواهر الإجتماعية ومصنوعا لها أيضا.بتعبير آخر إن هناك علاقة جدلية بين اللغة والسلطة والأيدئولوجيا من هذا المنظور.[١٦]›› فالخطاب النقدي هو الذي يريد أن يكشف مدى أثر الظواهر الاجتماعية والثقافية والسلطوية والسياسية في تكوين وبلورة الخطاب وكذلك تبيين العلاقة الجدلية بينه وتلك الظواهر. ومن جانب آخر له أثر كبير في إحداث التغيير في تلك الظواهر أيضا لأنه يرى للغة قوة وسلطان:‹‹يستطيع الأفراد عبرها تغيير الكون وإنّ لها علاقة جدلية مع الظواهر الاجتماعية والتاريخية.[١٧]›› كما يعتقد نورمان فيركلاف(fair clough) رائد تحليل الخطاب النقدي حيث بنى خطابه النقدي على أسس يمكن تلخيصها والخروج بهذه النتائج أن:‹‹للسلطة مفهوم خطابي وتكون علاقاتها خطابية. الخطاب النقدي يقوم بمعالجة المشاكل الاجتماعية. الخطاب له دور ووظيفة إيدئولوجية. الخطاب هو صانع الثقافة والمجتمع ويمثّلهما.[١٨]››

٣- مصدر سلطة الخطاب

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو من أين يستمد الخطاب سلطته؟ وكيف يكون قادرا على التأثير والإنجاز؟

يجيب فوكو (Foucault)على هذا السؤال بأنّ الخطاب، يستمد سلطته من طبيعة الخطاب نفسها.[١٩]›› أو من ‹‹سلطته الأيدئولوجية.[٢٠]›› أي يستمد سلطته من‹‹ قدرته الفائقة على صوغ مجاله وقوانينه وإحتواء المتكلمين وتأطيرهم في إطار شبكة أخرى من الأوامر والنواهي.[٢١]›› كما أنّه يستمد سلطته من: ‹‹قدرة المرسل / الباثّ اللغوية بوصفه الفاعل الرئيس في الخطاب باعتبار اللغة الأداة الأهم في التفاعل مع المرسل إليه وذلك من خلال القدرة على إنجازها في صورتها المتقيدة بالقواعد.[٢٢]›› وقد تتمثل في قوة أنا في الخطاب لأنّ الأولية في نمط التلفظ (الخطاب) للأنا المتلفظة.[٢٣]›› كهذه الآية:

(إِنَّنِي اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي) أو عن لسان فرعون: (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ

الْأَعْلى) وقد تجلت قوة السلطة والتفوق في مصدر السلطة والقوة وهو كتاب الله التي انطلقت الكثير من آياته من مبدأ الأمر والنهي المرتكز على السلطة الأيدئولوجية المبنية على نظام التوحيد وهو عبادة رب الواحد. فيتوجه هذا الخطاب التفوقي أولا إلى الأنبياء كما في هذه الآيات: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ طه/١٣٢ ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ هود/ ١١٤. أو ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ المدثر /١-٢ أو ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ مائدة / ٦٧. ثم إلى الخاضعين لتلك القوة والسلطة (المؤمنين).

٤- سلطة الخطاب

تأسيسا على تلك المبادىء خاصة الدور الأيدلوجي للخطاب حاول البحث أن يقترب من الخطاب السلطوي الذي يراه في صميم الخطاب النقدي في بعض من الآيات القرآن الكريم أدناها والتي تتيح لنا استجلاء نظام الخطاب بوصفه نظاما حواريا متعدد الأصوات ومن ثم متعدد المواقف المنبثقة من الأيدئولوجيا والعقيدة ومن ثم فرض السلطة فإذا راجعنا المفهوم المعجمي الحرفي للسطة نلمح القوة والتمكن والحكم والسيادة فيه ك: ‹‹سلط السلاطة: قهر[٢٤]. ›› وتسلط: ‹‹تحكم وتمكن وسيطر[٢٥] .›› إذن يستدعي مفهوم التسلط المكنون في المفردات ملامحا تنعكس على الخطاب الملفوظ مثل إقصاء الآخر والشعور اليقيني بامتلاك الحقيقة والفوقية وتضخم الأنا وتدفق أفعال الأمر التوجيهية مثل:(اقْتُلُوا اسْتَحْيوا ليدع) في هذه الآيات الشريفة من سورة غافر/٢٨ -٢٤:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٢٥ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۝٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا

يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾

إن في الآية أعلاها ثلاثة أصوات وآراء فثمة تعددية الآراء والأصوات (صوت الملأ والفرعون ومؤمن آل فرعون) فبالتالي ثلاثة خطابات:الخطاب الأول هو صوت حاشية فرعون والقوى الحاكمة التابعة لفرعون التي تأمر في خطابها بقتل الأبناء واستحياء النساء (الخطاب السلطوي) ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ غافر/٢٤.والصوت الثاني هو صوت فرعون وخطابه لقتل موسى:(وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى) والذي يمكن استشعار القوة والسلطة من لفظ القول فيه. إذا كانت القوى الحاكمة صوّبت سهامها إلى أتباع موسى وشيعته التي رأتها تشكل خطرا على كيانها وموجوديتها فإن فرعون استشعر مركز الخطر على سلطته وهو موسى عليه السلام الذي في رأيه شكل خطرا على حرية وسلطة الأنا لديه لذلك قام بخطاب القتل: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى) ثم خاطب الناس متحديا ربّ موسى قائلا:(وَلْيَدْعُ رَبَّهُ مُوسَى) فكلا الخطابين انتهجا سياسة القتل وإلغاء الآخر المتبّعة من قبل كل الجبابرة والطغاة.

١-٤ سلطة الخطاب الشخصي

١-١-٤تضخيم الأنا

فبما أن هناك سلطه تصنع الخطاب وخطاب يصنع السلطة وذلك عبر الشخصية أو المؤسسات أو غيرها.نلاحظ الشخصيات المذكورة خاصة السلبية (فرعون/ الملاء) هي التي صنعت خطابها أيضا وأصبح لها سلطة التأثير والفعل في المجتمع. لقدحاول البحث أن يعالج خطاب السلطة عند الشخصية السلبية المذكورة في الآيات أعلاها حيث أكثر القرآن الكريم من ترديد إسمها إسم فرعون (٧٢ مرة) مقارنة بالشخصيات السلبية الأخرى ولذلك ارتأى

البحث أن يتطرق إلى هذه الشخصية حيث جسد القوة والسلطة والكبرياء والربوبية في:(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى) فأراد البحث استجلاء مكوّنات شخصيته وخاصة خطابه وكيفية تواصله مع النبي موسى والمؤمنين وقد كان خطابه استعلائيا يتطابق مع اسمه: ‹‹إنّ فرعون لغة يعني التجبر والتكبر مشتق من الفرعنة أي الكبر والتجبر وقيل فرعون إسم أعجمي ولذلك لم يصرف اسمه وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة.[٢٦]›› وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي ذو دهاء وتكبر.[٢٧]››

لقد تمادى فرعون في غيه حتى ألغى كل إله إلا نفسه وقد بين للملأ بأنّه أعلمهم حيث لايوجد إله إلّا هو: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾قصص/٣٨.فبالتالي يوحي بقوله هذا أنّه هو المسيطر والغالب والقاهر على عقولهم وعقيدتهم حيث لا رأي ولا فكر إلا رأيه وفكره كما يعتقد رائد سلطة الخطاب فوكو(Foucault) في شأن الخطاب بأنّه:‹‹ عبارة عن الأفراد في صورة رعايا ليتمكن من محاصرتهم ومنعهم من اختراق لنظامه سواء في إخضاع الذوات المتحدثة باسمه أو الآخرين.[٢٨]›› حيث بلغ ذروته بقوله:(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى)

كان فرعون يرى لنفسه السلطة الإيدئولوجية باعتباره الإله والرب الأعلى وإن له سلطة يستطيع بها أن يصوغ وعي المخاطب ويملي عليهم شروط القبول أو الرفض. في الحقيقة إن مقام ألانا هو الذي فوض فرعون السيطرة على المعتقد بتسييرها وصياغتها في الوعي لأنه يمتلك الحقيقة فقد أراد توجيه سلوك الآخرين ومنعهم من الخروج من الدائرة المغلقة واخضاعهم لسلطانه وتثبيت موقعه وألوهيته لأنه لاتخلو سياسة أو سلطة من خطاب يصوغ الوعي ويوجّه الإرادة والسلوك بقوله: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ الشعراء ٤٩.فلا يخفى في هذا الشأن مدى تجبره في خطابه للملأ أيضا: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾في كناية عن بعدهم

بالنسبة إليه من حيث الرتبة والمكانة.

إن فرعون بعد إدعائه الألوهية والسيطرة الفكرية يرى أنّ الأرض وبما فيها من خيرات ملك له قائلا: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ زخرف/ ٥١. فقد نلمس تلك اللمسة الأنانية المتعجرفة خاصة في تكرار ضمير الياء المتكلم في الآية (لي وتحتي) مؤكدا نظرته الاستعلائية المتألهة بأسلوب الاستفهام الاستنكاري في: (أَفَلا تُبْصِرُونَ) خاصة في استخدام الظرف (تَحْتِي).

إن هذه النظرة الاستعلائية في شخصيته، أفرزت الشعور بالفوقية واعتبار الآخرين في مرتبة دون مرتبته حتى مظاهر الكون يراها تحت إمرته. فقد تكشف قصر النظر والنظرة المادية البحتة عنده أيضا حيث جاء التركيز على البصر والمحسوس من الأمور فحسب. (أَفَلا تُبْصِرُونَ) فقد كان يرى أنّ امتلاكه مصرا وجري الأنهار من تحته خوّلته أمر الربوبية و أهّلته لذلك. يبدو أن فرعون كان حريصا على حفظ ممتلكاته وعرشه وهذا ما أدّى إلى تأصيل صفة الاستكبار في ذاته وشخصيته فقدكان مستكبرا حقا وممتنعا عن قبول الحق رغم قيام الحجة وظهور الآيات وقد نص القرآن على حقيقة استكباره بالعبارة الواضحة: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ القصص/ ٣٩ فقد أكد القرآن في الآية الأولى على وجود هذه الصفة في فرعون في ذاته، خاصة بورود ضمير الفصل:(وَاسْتَكْبَرَ) الذي يعتبر إحدى البنى التوكيدية المستخدمة فيه ممّا يعطي انطباعا لدى المتلقي بتأصيل وتأكيد هذه الميزة في ذاته لكنه رغم تفرده بالسلطة لايخلو حكمه من تأثير للسلطات والقوى الأخرى.

سبق وإن قلنا أن الخطاب ذوعلاقة بالنظم الاجتماعية مستمد قوته منها فبناء على ذلك نلاحظ أن فرعون -وإن كان في قمة النظام السلطوي وفي أرقى منصب -لكنه بقوله: (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى) أراد أن يستمد سلطته من النظام الاجتماعي ومن مراكز القوة والمؤسسات السلطوية والحاكمة الأخرى (القوى الضاغطة من كبار الساسة والأثرياء) وكأن هذا الخطاب هو تلويح بالقوة والسلطة لديهم وكأن لسان حاله يقول إنني أستأذنكم في قتل موسي وسيتم

أمره بعد التخويل منكم فنلاحظ أن لهم سلطان أيضا بجانب سلطة فرعون حيث ظهر مدى سلطة خطابهم كما رأينا في بداية الآيات: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ غافر/٢٤.

في الحقيقة إنهم يستمدون سلطتهم من بعضهم البعض فرعون منهم وهم من فرعون وكأن خطاب فرعون بقوله: (قالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى) أيضا هو استمداد للقوة منهم في القتل وإيعاز منه في توسيع دائرة القتل والإبادة لكن لاننسى أنه إنطلق من مبدأ السلطة والهيمنة المتمثلة في (أنا، ذَرُونِي وأَقْتُلْ) ومن مبدأ القوة والسلطة باعتباره رأس الفئة الكبيرة الكثيرة في العدة والعدد إذ مكنته من التفوّه بمثل هذا الكلام فالقوة مكنونة في أنا: (فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى) لأن التفوه بمنطق الألوهية واعتبار الأنا، مطلق السلطة والقوة ‹‹يحيل مقام التلفظ أو أفقه إلى ساحة مواجهة وصراع مع كل ما من شأنه أن يستلب حرية الأنا أو يلغيها أو يهمش دورها.[٢٩]›› كما يعتقده فوكو(Foucault) رائد نظرية سلطة الخطاب.فالإقرار بمقام ألوهية (الأنا) وضعه في مجابهة رب موسى وذلك في خطاب غيرمباشر من جانب فرعون: (ولْيَدْعُ رَبَّهُ مُوسى) ومعنى هدا أن الأيدئولوجيا مهما يكن لها من هيمنته في احد أجهزة الدولة ‹‹لا توجد بدون ايدئولوجيا أخرى معارضة.[٣٠]››

فقد أراد بهذا الخطاب الاستعلائي أن يلغي ويهمش دور إله موسى مقللا من شأنه بتوظيف صيغة الغياب في:(وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ مُوسى) فقد أكد فرعون حضوره وسلطته بتوظيف ضمير الأنا الكامن في ذروني وأقتل مع تغييب رب موسى بتوظيف ضمير الغائب.

ومن يخرج على ذلك فمصيره التنكيل والتعذيب وقطع الأرجل والأيدي والصلب لا بقاء لمن يخالف ويعارض ألوهيته فاعتمادا على تلك السلطة الأيدئولوجية مارس فرعون سلطته من خلال قبول الآخرين بها أي هناك سلطة على عقول الناس والتحكم بمعرفتهم وآراءهم واتجاهاتهم فالسيطرة على

العقل‹‹ تعني السيطرة على الأفعال كما يعتقد فان دايك.[31]›› فإذا ضبطهم بالفكر سيسهل ضبطهم بالفعل أيضا كما نرى ذلك في تجاوب حاشيته معه والعامة من الناس بقوله (فَحَشَرَ فَنَادى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى) النازعات / ٢٤.(فَحَشَرَ) هو دليل على أن كثيرا من الناس كانوا معه ويخضعون لربوبيته وبالتالي يفعلون ما يفرض عليهم وفي مقابل القبول والرضوخ لسلطته.

٣-١-١-خطاب الإلغاء للآخر

في الحقيقة، إن كل خطاب هو تعبير عن إرادة وفكر ورأي سواء على الصعيد الخارجي المتمثل في السلطة السياسية والحكومة أو على الصعيد الفردي فبالتالي ليست:‹‹ الحطابات مسالمة على الإطلاق فهي تنتج عن التصادم بين بعضها وبعض.[32]›› فضلا عن إن:‹‹ الصراع الايدئولوحي يتخلل الخطاب في كليته.[33]›› فتأسيسا على دلك يأتي خطاب السحرة مقابل خطاب فرعون الاستعلائي تعبيرا عن إرادة قوة ما في مقابل إرادة قوة أخرى وتعسفه حينما جابهوه بقولهم:

﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء/٥١.

في الحقيقة كان خطابهم خطاب المجابهة وصراع الإرادات المواجهة بين (الأنا)عند فرعون و(نحن) عندالسحرة حيث نلاحظ توظيف ضمير نا بكثرة (إنا، ربنا، لنا ،خطايانا، كنّا) الدال على الجمع والقوة أمام أنانية فرعون. فقد أرادوا في خطابهم أن ينتسبوا فيه إلى الرب الواحد الأحد وكأنهم يتشرفون ويتباهون بهذا الانتماء لذلك كرروا ضمير نا المحال إلى الرب سبحانه وتعالى. ومن جهة أخرى أن الخطاب السلطوي حينما يواجه رفضا من خطاب آخر معارض له يلجأ إلى التهديد بالعنف والتصفية الجسدية والقتل: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ طه/ ٧١ .

فكما نرى ثمة تدفق للأفعال التوكيدية المتتابعة في الآية. فعلا هناك صراع أرباب وأيدئولوجيات وصراع إرادات. فبما أن الدراسات النقدية خاصة الخطاب النقدي يتم التركيز فيها على خصائص الخطاب وبما أنها ترتبط كثيرا ‹‹بالتعبير عن السلطة

الاجتماعية التي تتراوح خصائصها بين نبر معين أو خصائص سمعية ومرئية كاللون وملامح الصورة والموسيقى وبين البنى النحوية.[٣٤]›› إرتأى البحث أن يتابع خصائص الخطاب في الآيات أعلاها فيمكننا القول في تبيين خصائص هذا الخطاب السلطوي بأنه قد بلغ ذروته في:(فَلَأُقَطِّعَنَّ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ لَتَعْلَمُنَّ) للخطاب الفرعوني حيث جاء الخطاب مؤكدا باللام ونون التأكيد الدالاّن على القطع والحتم ثم تفصيل العقاب وترسيم الصورة بأبشع شكل ممكن بقطع الأيدي والأرجل من خلاف ثم الصلب في جذوع النخل واختتام الخطاب بكلمات على وزن أفعل في:(أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى) ما يدلّ على شدة العذاب وتداومه وبقاءه بالنسبة إلى العذابات الأخرى وقد كرر فرعون ضمير المخاطب مباشرة: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ الشعراء ٤٩. ما يعني قوة اقتناعه بما يظن فيهم وكذلك شدة تهديده لهم حيث يمكننا استشعار شدة النبر واللحن فيه عبر توظيف الحروف المجلجلة ذات القوة والشدة كالكاف والجيم والصاد في كبيركم وعلمكم وأرجلكم ولأصلبنكم وجذوع النخل فأراد أن يثبت خطابه أولا باستخدم الجملة الإسمية الدالة على الثبات والثبوت وقد أكدها بإنّ ولام التأكيد: (إِنَّهُ لَكبِيرُكمُ الَّذِي عَلَّمَكمُ السِّحْرَ) طه/ ٧١. ثم أراد ممارسة السلطة على أرض الواقع وتفعيلها لذلك قام بتوظيف الجمل الفعلية في خطابه التهديدي ما يعني تفعيل التهديد والتكرار والتجديد لخطاب الإلغاء.

في الحقيقة إنّ تلك الممارسات الوحشية خاصة في (يذبّح أبناءهم) على وزن (التفعيل) والتي توحي دلالته بالتكرار والاستمرار، ما هي إلا تثبيتا لسلطته فقد اتبّع سياسة فرق تسد المعروفة قبل آلاف السنين لقد أسّس نظاما طبقيا تكرّست فيه القوة والسلطة والثروة عند قوى ضاغطة وفئة قليلة احتلت مراكز القوة في أعلى هرم النظام الذي كان فرعون يشكل رأسه وقمته فالخطاب أيضا ينتج مؤسساته الخاصة التي تكون صورة للنظام لأن سلطته مقرونة بالمؤسسة التي ينتجها. فقد تمادى في تعسفه وكذلك تفخيم ذاته وتعظيمه باستخدام ضمير الجمع بقوله: قالَ: (سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَ نَسْتَحْيي نِساءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ) كأنّما فرعون في هذه الآية لم يشف غليله هذا التفخيم

والتعظيم في سَنُقَتِّلُ، فيعود ويستخدم ضمير الجمع مرة أخرى في:(إِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) وقد تعاضد هذه الفكرة الاستعلائية كثرة ورود الأصوات المدية والموحية بالشموخ والرفعة مثل الألف المدية في(قال،أبناءهم نسائهم، إنا، قاهرون) والتأكيد على التفوق والغلبة باستخدام كلمة فَوْقَهُمْ في (إِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) وتقديمها على القاهرون وكذلك اسم الفاعل(قاهرون) الدال على الثبوت والتداوم.

فما استشفناه من خطاب فرعون ما هو إلاخطابا أحاديا سلطويا الذي يقضي على كل صوت. إن ما عولج من الخطاب القرآني أعلاه خاصة في خطاب فرعون كان من منظور سيميائي سلطوي وقد كان خطابا أحاديا استعلائيا. فالسلطة الأيدئولوجية والفكرية وراء السلطة السياسية والاقتصادية حيث التمتع بكلا القوتين يمنح سلطة للخطاب أيضا بتعبير آخر الخطاب يمنح السلطة والسلطة تمنح الخطاب كما نلاحظه في خطاب فرعون: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾القصص/٤.حيث تمتع بالقوة المتجليه في السياسة والتي خوّلته أن يقوم بما يحفظ له هذه السلطة باستضعاف الشعب والتصفيات الجسدية والعنف. وكذلك في تأثير القوة الاقتصادية على خطاب فرعون المعلن بمالكية الظواهر الكونية له:﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾زخرف/ ٥١.كما لوحظ ذلك في خطاب الإلغاء والتهديد:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ غافر/٢٦.

٢- تغيير معنى الكلمات حسب المواقف

قام فرعون بالتمويه على الناس و إضفاء صفة الإقناع والمشروعية على خطابه بإبداء الحرص على حفظ الديانة والإيدئولوجيا وصيانة البلاد من الفساد عبر إبداء الخوف على دين الجماعة وتبديل معتقدهم الذي يعتبر تغييره

تغييرا للحكم ونهاية لسلطته كما يعتقد بعض أصحاب التحليل الخطاب النقدي أمثال فركلاف(furlough) إنّ الوظيفة الايدئولوجية تتجلى في صيانة السلطة فضلا عن أنّها تصنع الخطاب.[٣٥]›› فقد رسم لهم نهاية مؤسفة إما في تغيير الدين وإما في ظهور الفساد:﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ وكذلك في هذه الآيات الناطقة عن لسان ثلاث خطابات: (فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى) (وَقالَ مُوسى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ) (قالُوا لاضَيرَ إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ) (إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) الشعراء/٥١ .

يظهر أن التغيير عند ه يساوي الفوضى والفساد والخراب لكن هل المقصود من (دينكم) و(الفساد) و(رَبُّكُمُ الْأَعْلى) في خطابه هي نفسها عند موسى وأتباعه ؟ وكيف تتغير دلالات الكلمات وما هي أثرها ؟

في الحقيقة إن الكلمات تتغير معناها وفقا لمواقف ايدئولوجية وحينما يتحدث فرعون عن مفهوم الدين والفساد:(إِنِّي أَخافُ أَنْ يبَدِّلَ دِينَكمْ أَوْ أَنْ يظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ) فهده الكلمات تتغير معناها حسب مواقف المتكلمين الأيدئولوجية فان دلالاتها تختلف نهائيا فبالتالي المفهوم هو غيره عند موسى وفرعون. فمعنى الرب غير المعنى المقصود به فرعون وموسى والمؤمنين:﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم ﴾﴿ قَالُواْ لَا ضَيۡرٌۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾﴿ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الشعراء/٥١.

ثمة خطاب لفئة رغم انها لاتعترف بسلطة فرعون لكنها تكتم إيمانها خوفا من بطش السلطة:﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ **غافر/ ٢٦.** إنها تريد أن تحافظ على كيانها واستقلاليتها وما عليها حينئذ إلا أن يتسّم خطابها بالطابع العقلي والإقناعي فيأخذ صوتها طابع المحاجّة ونظام القول المؤثر للوقوف بوجه القول الاستعلائي والسلطوي الفرعوني وذلك بقوة المنطق فاتخذت على إثره طريق التأثير والإقناع لأن الخطاب هو: ‹‹نظام القول المؤثر والمقنع لكل الأطراف.[٣٦]›› وهو ‹‹نظام التكلم الجامع لشروط الإقناع

والتأثير[٣٧].››

فضلا عن ذلك فإن خطاب مؤمن آل فرعون أراد أن يعالج مشاكل المجتمع إذن هو خطاب نقدي بامتياز فقد قام الرجل المؤمن من آل فرعون بالرد على خطاب القوة و خطاب القتل بإيجاد حل لهذا المأزق عبر تذكيرهم بالبينات التي جاء بها موسى وتحذيرهم مغبة أعمالهم حالة صدق كلام النبي موسى عليه السلام ومنعهم القتل.

إن هذا الخطاب التوسطي أراد أن يهوّن وقع كلام موسى على القوى الحاكمة والايدئولوجيا السائدة فاستفتح كلامه بالاستفهام لكي يمهدخطابه للتأثير والإقناع وذلك بالسؤال الذي أراد به التأمل والعقل ووضع المخاطب أمام خيارين ثم التذكير بعاقبة الأمور بقوله تعالى:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ غافر/٢٨.

فبذلك يشكل صراعا وجدلية مع أنظمة أخرى وخطابات تدعو إلى التوحيد وعبادة رب الواحد من قبل الأنبياء كما في هذه الآية:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ الأنعام / ١٠٢.فتنتهي فيما بعد بصراعات دموية من قبل النظام السلطوي:(فَلَأُ قَطِّعَنَّ أَيديكمْ وَأَرْجُلَكمْ مِنْ خِلافٍ وَأُصَلِّبَنَّكمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَينا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى) وكذلك من حاشية النظام: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء / ٦٨.حيث سبقتها حوارات غالبيتها حوارات عقيمة وجدال عقيم انتهت بصراعات كما لاحظنا.

النتائج

إن تجاوز مفهوم الخطاب من الجملة _متتالية من الملفوظ إلى مفهوم التلفظ ما يعني الفعل الذاتي في استخدام اللغة بوصفه فعلاحيويا في انتاج نصا ما

يسوغ لنا الإلمام بمفهومي الحوار والتاثير للخطاب.

كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وهدف الأول التأثير على الثاني وفي هده الحالة هو حدث لساني اجتماعي يصنع المعرفة والهوية والعلاقات الاجتماعية خاصة مناسبات السلطة ويغيرها .

إن التفوه بمنطق الألوهية واعتبار الأنا، مطلق السلطة والقوة يحيل مقام التلفظ أو أفقه إلى ساحة مواجهة وصراع مع كل ما من شأنه أن يستلب حرية الأنا أو يلغيها أو يهمش دورها. كما يعتقده فوكو(Foucault) رائد نظرية سلطة الخطاب.

أنّ تعدّدية الأصوات والحوارات تنبىء عن تعددية المواقف والأفكار وأنّ الخطاب ذو صلة وثقى بالسلطة والمجتمع والسياسة والأيدئولوجيا.

الخطاب يستمد سلطته من قدرته الفائقة على صوغ مجاله وقوانينه وإحتواء المتكلمين وتأطيرهم في إطار شبكة أخرى من الأوامر والنواهي.

إن خطاب السلطة هو تعبير عن إرادة القوة/ التسلط يقوم بتقليص عدد المتكلمين ليتمكن من محاصرتهم ومنعهم من اختراق لنظامه سواء في إخضاع الذوات المتحدثة باسمه أو الآخرين،كما تمثل في خطاب فرعون (أَنَا رَبُّكمُ الْأَعْلى)

خطاب فرعون هو شكل من أشكال الهيمنة أو عبارة عن ممارسة إيدئولوجية ترتبط بصراع الطبقات وتعمل على تكوين الأفراد في صورة رعايا. فالإقرار بمقام ألوهية (الأنا) وضعه في مجابهة رب موسى وذلك في خطاب غير مباشر من جانب فرعون: (وَ لْيدْعُ رَبَّهُ مُوسى) فقد أراد بهذا الخطاب الاستعلائي أن يلغي ويهمش دور إله موسى مقللا من شأنه بتوظيف صيغة الغياب في:(وَ لْيدْعُ رَبَّهُ مُوسى) فقد أكد فرعون حضوره وسلطته بتوظيف ضمير الأنا الكامن في ذروني وأقتل مع تغييب رب موسى بتوظيف ضمير الغائب.

الخطاب ينتج عنه الممارسات الخاصة به والحديث عن الخطاب يتضمن بالضرورة الحديث عن سلطة الخطاب أيضا وهي سلطة تمارس عملية الضبط والإقصاء بغية الحفاظ على وجوده كما نستشفه من الآيات التالية: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا

يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص/٤.

أن الخطاب ذوعلاقة بالنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مستمد قوته منها فنلاحظها في: (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى) أراد أن يستمد سلطته من النظام الاجتماعي ومن مراكز القوة والمؤسسات السلطوية والحاكمة الأخرى (القوى الضاغطة من كبار الساسة والأثرياء) ثم تاثير العوامل الاقتصادية في بلورة خطابه بقوله:﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ زخرف/ ٥١.

لا تخلو سياسة أو سلطة من خطاب يصوغ الوعي ويوجّه الإرادة والسلوك في الآخرين وقد تتبع البحث ذلك في خطاب فرعون الذي أراد به توجيه سلوك الآخرين ومنعهم من الخروج من الدائرة المغلقة التي سجنهم فيها ومن ثمّ كبت حريتهم:

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ طه/ ٧١ .

ان الكلمات تتغير معناها وفقا لمواقف أيدئولوجية فكلمة الرب والدين لاتعني المقصود منها عند موسى وفرعون.

الخطابات ليست مسالمة على الإطلاق فهي تنتج عن التصادم بين بعضها وبعض. فضلا عن إن:‹‹ الصراع الأيدئولوجي يتخلل الخطاب في كليته. فتأسيسا على ذلك يأتي خطاب السحرة مقابل خطاب فرعون الاستعلائي تعبيرا عن إرادة قوة ما في مقابل إرادة قوة أخرى وتعسفه.

أن الخطاب السلطوي حينما يواجه رفضا من خطاب آخر معارض له يلجأ إلى التهديد بالعنف والتصفية الجسدية والقتل: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ طه/ ٧١.

هناك خطاب آخر يتسّم بالطابع العقلي والإقناعي فيأخذ صوتها طابع المحاجّة ونظام القول المؤثر للوقوف بوجه القول الاستعلائي والسلطوي الفرعوني وذلك بقوة المنطق فاتخذت على إثره طريق التأثير والإقناع لأن الخطاب هو: ‹‹نظام القول المؤثر والمقنع

لكل الأطراف. وهو ‹‹نظام التكلم الجامع لشروط الإقناع والتأثير.

هوامش البحث

١. محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار احياء التراث العربي ، مح ٥، طّ ١، ١٩٨٨م،(مادة خطب).

٢. لطفي فكري محمد الجودي: جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار، ط٢، ٢٠١٤م،ص ٨٠.

٣.ادريس حمادي: الخطاب الشرعي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٩.

٤.عبدالواسع الحميري: النص والخطاب، المفهوم العلاقة السلطة، ص١٧٥.

١.عبدالواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، ص١٧٥.

.٦ ديان مكدونيل : نظريات الخطاب ترجمه عزالدين اسماعيل ، المكتبة الاكاديمية ط١، ٢٠٠١م ، ص ١٦.

٧.إدريس حمادي: الخطاب الشرعي، ص ١٩.

٨. عبدالواسع الحميري ص ١٠٩.

٩. نبيل أيوب:: النقد النصي وتحليل الخطاب ،ج ٢، لبنان مكتبة ناشرون، ط ١، ٢٠١١م، ص٢٣٢.

١٠. عبدالواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نحلله، بيروت، مجدالمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢٠٠٩م،ص ١٠٠

١١ديان مكدونيل: نظريات الخطاب ترجمه عزالدين اسماعيل ، المكتبة الاكاديمية ط١، ٢٠٠١م ، ص ١٤.

١٢. عبدالواسع الحميري: ماالخطاب وكيف نحلله،ص٩٥.

١٣. لطفي فكري محمد الجودي: جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار، ط١، ٢٠١٤م،ص ٨٨.

١٤. عبد الواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، بيروت مجد المؤسسة الحامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠١٤، ص ١٨٩.

١٥. لطفي فكري محمد الجودي: جمالية الخطاب في النص القرآني،ص ٨٠.
١٦. ماريان يوركنسن: تحليل الخطاب ترحمه هادي جليلي، ص ١١٦.
١٧.المصدر نفسه: ص ١١٢.
١٨. المصدر نفسه: ص١١٤.
١٩. عبدالواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، ص.١٩٢
٢٠. المصدر نفسه: ص ١٩٨.
٢١. المصدر نفسه:ص ١٩٨.
٢٢. لطفي فكري محمد الجودي: ص ٨٨.
٢٣. عبد الواسع الحميري: ماالخطاب وكيف نحلله، ،ص ١٠٧.
٢٤. ابن منظور، لسان العرب، ج ٧ بىروت، دار صادر ط٣، ١٩٩٣ م، مادة سلط.
٢٥. الزيات: احمد حسن وآخرون المعجم الوسيط ج ١، القاهرة ، دارالمعارف، ١٩٨٠ م. مادة سلط.
٢٦. ابن منظور: لسان العرب، مادة فرعن: راغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن ، باب الفاء.
٢٧.قاسم توفيق قاسم خضر: شخصية فرعون في القرآن ، اشراف الدكتور محسن الخالدي كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين ، ٢٠٠٣م، ص١٥.
٢٨. عبدالواسع الحميري:الخطاب والسلطة والنص،ص ١٠٥.
٢٩. عبد الواسع الحميري: ماالخطاب وكيف نحلله، ص ١٣٥.
.٣٠ ديان مكدونيل، نظريات الخطاب، ص ١٠١.
٣١. فان دايك: الخطاب والسلطة ترجمة غىدا العلي القاهرة المركز الثقافي للترجمة ط ١ ٢٠١٤م،ص ٣٥.
.٣٢ ديان مكدونيل: نظريات ، ص ١٠٩
.٣٣ المصدرنفسه: ص١١٢

٣٤. فان دايك: الخطاب والسلطة: ص ٣٥.

٣٥. ماريان يوركنسن: تحليل الخطاب ، ص١١٨ - ١١٤.

٣٦. عبدالواسع الحميري: الخطاب و النص المفهوم العلاقة السلطة، ص ١٥.

٣٧. المصدر نفسه: ص ١٥.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

- الأصفهاني، الراغب، ١٩٩٧م، **مفردات ألفاظ القرآن** تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دمشق ، دارالقلم، ط٢.
- ابن منظور، **لسان العرب،** بيروت، دار احياء التراث العربي ، مح ٥، طّ ٣٧، ١٩٨٨م،(مادة خطب).
- ابن منظور، **لسان العرب** ، ج ٧ بيروت ، دار صادر ط٣، ١٩٩٣ م، مادة سلط.
- الزيات: احمد حسن وآخرون **المعجم الوسيط** ج ١ ، القاهرة ، دارالمعارف ، ١٩٨٠ م. مادة سلط.
- ادريس حمادي: **الخطاب الشرعي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
- ديان مكدونيل: **نظريات الخطاب** ترجمه عزالدين اسماعيل ، المكتبة الأكاديمية ط١، ٢٠٠١م.
- عبد الواسع الحميري: **النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة**، بيروت مجد المؤسسة الحامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠١٤م.
- عبدالواسع الحميري: **ما الخطاب وكيف نحلله**، بيروت، مجدالمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢٠٠٩م.
- فان دايك: **الخطاب والسلطة** ترجمة غيداء العلي،القاهرة المركز الثقافي للترجمة ط ١ ٢٠١٤م.
- لطفي فكري محمد الجودي: **جمالية الخطاب في النص القرآني**، مؤسسة المختار، ط٣٧، ٢٠١٤م.

- يوركنسن وآخرون، ماريان: **النظرية والمنهج في تحليل الخطاب**، ترجمة هادي جليلي، نشر ني، ط٤. ١٣٩٣ه ش.
- نبيل أيوب:: **النقد النصي وتحليل الخطاب** ،ج ٢، لبنان مكتبة ناشرون، ط ١، ٢٠١١م.

الرسائل الجامعية .

- قاسم توفيق قاسم خضر: **شخصية فرعون في القرآن** ، اشراف الدكتور محسن الخالدي كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين ، ٢٠٠٣م، ص١٥.